

الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف

[510] وما وصل إلينا من عيسى عليه السلام مثل عموم قول علي، وهذه حجة على أهل المشارق والمغارب، وهذه منقبة لعلي بن أبي طالب عليه السلام باهرة ومعجزة للرسول قاهرة. ومن عجائبه في هذا القول المذكور أنه قال ذلك على رؤس الأشهاد وبمحضر الأعداء والحساد، فكأنه تحدى به من سمعه ومن سبيلغه من العباد وجعله حجة ^{في} ولرسوله إلى يوم المعاد. ومن عجائب هذا القول أن علي بن أبي طالب عليه السلام كان مع علمه بتفصيل الأحوال، يسير في الناس بالمقال والفعال سيرة لا يعتقد من يراه أنه عارف ببواطن تلك الأعمال والأفعال والأقوال، وقد عرف العقلاء أن كل من عرف وأطلع على يتجدد من حركة من حركات نفسه أو حركات من يصحبه أو يطلع على أسرار الناس فإنه يظهر على وجهه وفعله أثر علمه بذلك قبل سماعه من غيره وعلي عليه السلام مع علمه بذلك يكون كمن لا يعلم، وما هذا إلا من الآيات الباهرات والجمع بين المشكلات. ومن عجائب علي بن أبي طالب عليه السلام أنه بمقتضى علمه المشار إليه قد علم أيضاً ما يتجدد من معاوية وما يجري الحال عليه في حروبه له وبقاء معاوية بعده واستقامة الأمر لمعاوية بعده، ومع هذا فكان إذا شاهد الناطرون في حروبه مع معاوية وإقدامه وتهجمه وحته على الجهاد واهتمامه بالإصدار والإيراد لا يشك الناظر إليه أن علي بن أبي طالب عليه السلام يعتقد أنه يغلب معاوية ويأخذ الإمارة وينزع الملك عنه. وقد عرف أولوا الألباب أنه متى عرف أحدهم أنه إذا خاصم عدواً أو حارب إنساناً غلبه العدو أو كان العاقبة لخصمه أنه يضعف جناحه ويذل لسانه ولا تساعد همته ولا تعاضده شجاعته، وإن نهض مع ذلك إلى عدوه وخصمه فيقلب مسلم للعطب والذلة وحركات تشهد عليه بالضعف عن قصد إليه، وعلى بن أبي طالب